

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الثالثة والعشرون

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة القسم الثاني من سفر الأمثال، وهو بعنوان حكمة لجميع الناس. وتأملنا ببعض الأمثال التي كانت تحت عنوان: جزاء العيشة الصالحة والطالحة. حيث تحدثت هذه الأمثال عن الفرق بين الصديق والبار، والحكيم والجاهل، والكسلان والمجتهد. وسنتابع اليوم الحديث عن هذه الأمثال.

هل تنتبه صديقي لكلامك؟ وهل تفكر بما تريد أن تتحدث به ووقعه على الآخرين؟ كتب سليمان الحكيم في الأصحاح العاشر من سفر الأمثال أربعة أمثال تتعلق بموضوع الكلام، وختم الأصحاح بمثلين يتحدثان عن كلام الأبرار وكلام الأشرار. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "من يخفي البغضة فشفته كاذبتان ومشيع المذمة هو جاهل. كثرة الكلام لا تخلو من معصية. أما الضابط شفتيه فعاقل. لسان الصديق فضة مختارة. قلب الأشرار كشيء زهيد. شفنا الصديق تهديان كثيرين. أما الأغبياء فيموتون من نقص الفهم." (أمثال ١٠: ١٨-٢١)

هل ترائي في كلامك يا صديقي؟ فعندما ترى شخصاً لا يعجبك أو لا يروق لك، تبادره بالكلام الحلو المعسول، أي تظهر له عكس ما تفكر به. وهل تعلم أنك بذلك تكون شفتك كاذبتين كما قال المثل؟ من يخفي البغضة فشفته كاذبتان. إن المثل لا يقصد بالطبع أن تكشف له عن حقيقة عواطفك تجاهه، بل أن لا تكون مرئياً تقول عكس ما تفكر به، لئلا تكون كاذباً. أما الشخص الذي يحاول إشاعة المذمة، أي ذم الآخرين باستمرار، فإن المثل يقول عنه أنه إنسان جاهل. لأن هذا هو تصرف لا يليق بالإنسان العاقل.

يقول المثل العربي: "خير الكلام هو ما قلّ ودل". ويقول سليمان في أمثاله: "كثرة الكلام لا تخلو من معصية". فعندما يتحدث المرء كثيراً وبدون أية ضوابط فهناك احتمال كبير أن يخطئ في كلامه. وهو ما يتطابق مع المثل العربي أن خير الكلام هو ما قلّ ودل.

ويتابع المثل قائلاً: "أما الضابط شفثيه فعائل". أي أن الإنسان الذي يستطيع أن يضبط كلامه، ويتكلم فقط بالأمر البناء المفيد فهو إنسان عاقل. ولهذا شبّه المثل لسان الصديق أي الإنسان البار بالفضّة المختارة. وكما نقول بالعامية أنه يتكلم جواهر، أي يتكلم بالكلام الجيد الحكيم.

ويعتبر المثل أن "شفثنا الصديق تهديان كثيرين". فالإنسان الحكيم يرشد الآخرين ويهديهم إلى طريق الصواب، ويحاول أن يساعدهم ويجمع بينهم، بكلماته البناءة المفيدة. على عكس الجاهل الذي يحاول تدمير الآخرين بكلماته، وإشاعة الفرقة بينهم.

أما الأغبياء أي الناس الجهلاء فإنهم يموتون من نقص الفهم. والسبب لأنهم لا يريدون أن يتعلّموا، أو يتدربوا لكي يصبحوا أناساً عقلاء، يتكلمون الكلام البناء الصحيح. وأنت صديقي هل تضبط شفثيك؟ وهل كلامك يُهدي الكثيرين ويرشدهم إلى جادة الصواب والحق؟

وعاد سليمان الحكيم في نهاية الأصحاح العاشر وتحدث عن الفرق بين كلام الأبرار والأشرار، فكتب قائلاً: "فم الصديق يُنبت الحكمة. أما لسان الأكاذيب فيقطع. شفثنا الصديق تعرفان المرضي وفم الأشرار أكاذيب". (أمثال ١٠: ٣١ و ٣٢) إذا كان الإنسان الصديق أو البار يُهدي الكثيرين، فإن هذا يعني أنه يُنبت أي يزرع أو يُزهر الحكمة. ولهذا قال عنه المثل أن شفثيه تعرفان المرضي أي الأمر البناء المقبول. بينما نجد أن فم الأشرار مليء بالأكاذيب والكلام الفاسد، ولهذا قال عنه المثل أنه سيقطع.

هل تعلم يا صديقي أن كلامنا قد يكون في أحيان كثيرة هو السبب في المشاجرات، لا بل في إذكاء نار الحقد والفتنة التي قد تؤدي إلى أعمال القتل؟ وكم من عائلة أو مجتمع عانى من مشكلة اللسان وما يتفوه به. وكم من نزاع حصل كان سببه الكلام غير المسؤول. ولهذا حدّثنا الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل، في العهد الجديد من الكتاب المقدس من اللسان وخطره على حياتنا. فكتب قائلاً: "فاللسان نار". عالم الإثم. هكذا جعل في أعضائنا اللسان الذي يدنّس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم. ثم تابع الرسول يعقوب قائلاً: "وأما اللسان فلا يستطيع أحد أن يذللّه. هو شرّ لا يضبط مملوء سمّاً مميتاً. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكوتوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة. لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا." (رسالة يعقوب ٣: ٦، ٨-١٠)

مستمعي الكريم: صحيح أن اللسان هو عضو صغير في أجسادنا ويبدو أن لا أهمية له، لكن نتائج عمله كبيرة وخطيرة جداً على حياتنا. فهو كما قال الرسول يعقوب يحمل النار، أي نار الفتنة، ويدنّس الجسم كله، ومن الصعب تذليله أي السيطرة عليه. والأسوأ من ذلك أننا بواسطة اللسان نمارس النقيضين، فنبارك الله، وفي نفس الوقت نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله. أي تخرج بركة ولعنة من نفس الفم الواحد. فكيف بنا نحل هذا الإشكال؟ وهل من الممكن أن نجعل لساننا عضواً مفيداً في أجسامنا؟

هل تعلم يا صديقي أن كلامنا يعبر عن حقيقة نفوسنا الخاطئة الشريرة؟ فمهما حاولنا فإننا لن نستطيع السيطرة على لساننا، ولا بد أن نخطئ في كلامنا. أما الحل يكون عندما تتغير طبيعتنا من الداخل، وتصبح طبيعة جديدة، وعندها فقط يصبح كلامنا حكيماً وبناء ومرشداً للآخرين. أما الحصول على الطبيعة الجديدة فيكون عن طريق التوبة عن آثامنا، والإيمان بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب ليكفر عن خطايانا، وليجعلنا من أولاده، وليهبنا هذه الطبيعة الروحية الجديدة.

وعندما تحصل مستمعي على هذا الاختبار، سترى كيف يتغير أسلوب كلامك، فتبتعد عن الألفاظ السلبية والسيئة، ويصبح كلامك مفيداً ومثمراً للآخرين. فهل تراك تأتي بالإيمان وتحصل على هذه الطبيعة الجديدة التي يهبها الله لك؟